

الكشاف

" إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم " " استزلهم " طلب منهم الزلل ودعاهم إليه " ببعض ما كسبوا " من ذنوبهم ومعناه : إن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فافتروا ذنوبا فلذلك منعهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا . وقيل : استزال الشيطان إياهم هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفا فيها . وقال الحسن B : استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة . وقيل : " ببعض ما كسبوا " هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله A بالثبات فيه . فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل : ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية . فإن قلت : لم قيل " ببعض ما كسبوا " ؟ قلت : هو كقوله تعالى : " ويعفو عن كثير " المائدة : 15 . " ولقد عفا الله عنهم " لتوبتهم واعتذارهم " إن الله غفور " للذنوب " حلیم " لا يعاجل بالعقوبة . " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون " " وقالوا لإخوانهم " أي لأجل إخوانهم كقوله تعالى : " وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه " الأحقاف : 11 ، ومعنى الأخوة : اتفاق الجنس أو النسب " إذا ضربوا في الأرض " إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها " أو كانوا غزى " جمع غاز كعاف وعفى كقوله : عفى الحيض أجون . وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة . فإن قلت : كيف قيل : " إذا ضربوا " مع " قالوا " ؟ قلت : هو على حكاية الحال الماضية كقولك : حين يضربون في الأرض فإن قلت : ما متعلق ليجعل ؟ قلت : قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون " حسرة في قلوبهم " على أن اللام مثلها في " ليكون لهم عدوا وحزنا " القصص : 8 ، أو لا تكونوا بمعنى : لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم . فإن قلت : ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى ؟ قلت : معناه أن الله عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله D كقوله : " يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " الأنعام : 125 ، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا

مثلهم ليحل ا انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم " وا يحي ويميت " رد لقولهم . أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء . وعن خالد بن الوليد ه أنه قال عند موته : ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء " وا بما تعملون بصير " فلا تكونوا مثلهم . وقرئ بالياء يعني الذين كفروا " لمغفرة " جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك " إلى ا تحشرون " كذب الكافرين أولا في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان في المدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم : ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل ا فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل ا خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا . وعن ابن عباس ههما : خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء . وقرئ بالياء أي يجمع الكفار " إلى ا تحشرون " إلى ا الرحيم الواسع الرحمة الميثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم ا تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتمصل به شأن ليس بالخفي . قرئ : متم بضم الميم وكسرهما من مات يموت ومات يمات